٢ ـ خـــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأســـتاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس بهبود[1] صاحب الزنج

روى خبره أبو الفرج ابن الجوزى فى جملة حوادث سنة ٢٧٠هـ قال بعد أن شرح عيثه وفساده : « وجاء البشير بقتل الفاسق ، ثم جاء رجل معه رأس الفاسق ، فسجد الناس شكراً ، وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين ... وقدم ابنه العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيسروا . فوافى بغداد يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى فى هذه السنة والرأس بين يديه على قناة ، فأكثر الناس التكبير والشكر لله والمدح لابن الموفّق وأبيه . ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث وركب فى جيش لم ير مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرّم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الخريبة ، ثم انحدر فى دجلة إلى قصر الخلافة فى جمادى الأولى هذه السنة ، وضربت القباب وزينت الحيطان »[1]

قلت : لم يصرح ابن الجوزى بوضع رأس هـذا الخبيث فى خزانة الرءوس ، ونحن نرجح أنه استقر فى هذه الخزانة ، بعد أن عرفنا إدخاله دار الخلافة

(د) رأس البساسيرى

كان أرسـلان التركى المعروف بالبساسيرى قد عظم شأنه ، واستفحل أمره ، وانتشر ذكره ، وقد هابته ملوك العرب والعجم حتى دعى له على المنابر ، وعزم الاستيلاء على بغداد ونهب دار الخلافة والقبض على الخليفة وهو يومذاك القائم بأمر الله ، فتم له ما أراد إذ دخل بغداد ، وقبض على الخليفة وسيّرَهُ إلى بلد عانة على الفرات فحبسه فيها ، ثم دار الفلك دورته ؛ فوقع البساسيرى فى الفخ ، فكان مصيره حز رأسه وحمله إلى خزانة الرؤوس . وقد صدقت فيه الآية : « ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون »

قال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٥١ هـ « . . . وانهزم البساسيرى على فرسه فلم ينجه ، وضرب فرسه بنشابة فرمته إلى الأرض ، وأدركه بعض الغلمان ، فضربه ضربة على وجهه ولم يعرفه ، وأسره كشتكين دواتى عميد الملك ، وحز رأسه وحمل إلى السلطان . ولما حُمل إلى السلطان حكى له الذى أسره أنه وجد فى جيبه خمسة دنانير وأحضرها ، فتقدم السلطان إلى أن يفرغ المخ من رأسه ويأخذ الخمسة دنانير ، ثم أنفذه حينئذ إلى دار الخلافة ؛ فوصل فى يوم السبت النصف من ذى الحجة ، فغسل ونظف ، ثم ترك على قناة وطيف به من غد ، وضربت البوقات والدبادب بين يديه ، واجتمع من النساء والنفاطين وغيرهم بالدفوف ومن يغنى بين يديه ، ونصب من بعد ذلك على رأس الطيار[2]

---

(١) فى النجوم الزاهرة (٣ : ٤٨ ؛ طبع دار الكتب المصرية) : « نهبود » أنظر اسمه ونسبه فى تاريخ الطبرى (٣ : ١٧٤٢ — ١٧٤٣ حوادث سنة ٢٥٥هـ .

هذا وأنا لم أقصد ببحثى هذا إلى اللغة ، بل قصدت إلى الدلالة على طريق الحق إلى فهمها . وأحب أن أظهر من يقرأ كلامى هذا على أننى لا أجعل مفردات اللغات كل الهم فى عملى أو عمل غيرى . ويقينى أن أكثر من يطيق التدبر والتأمل يستطيع أن يصل إلى فهم اللغة فهماً صحيحاً نافعاً معيناً على حسن العبارة ودقتها فى البيان عن المراد ، وهو لم يتكلف إلى ذلك إلا قليلاً من الجهد

وأحسبنى قد سلكت إلى أخى مندور طريق العلم إلى غاية الحق ، وهى غايته التى أعلمه لا يعمل إلا لها . وسواء عليه بعد ذلك أكان الحق له أم عليه

أما مسألة الخطأ والصواب فى اللغة ، ومسألة عنصر الثبات فيها ، فنتركهما إلى العدد التالى من الرسالة ، ولأخى مندور تحيتى وشكرى .

محمود محمد شاكر

---

(١) المنتظم (٥ : ٧٠ طبع حيدر أباد) ، وطالع أخباره فى (٥ : ٦٦ — ٦٧ ، ٧٤ — ٧٥) ولزيادة الاطلاع ؛ أنظر تاريخ الطبرى : (٣ : ٢٠٨٥ — ٢٠٩٨ ؛ طبع أوربة) ، والتنبيه والاشراف للمسعودى (ص ٣٦٨ — ٣٦٩ ؛ طبع ليدن ص ٣١٩ ؛ طبع مصر)

(٢) الطيار : ضرب من السفن النهرية القديمة ، أكثر ما اتخذ فى العراق لركوب الخلفاء ، والظاهر أنهم سموه بذلك لأنه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء . وقد أفاض الكلام فيها العلامة الطيب الذكر أحمد باشا تيمور . أنظر : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : ([١٩٢٢] ص ٣٢٩ — ٣٣٤) .

بإزاء دار الخلافة ثم أخذ إلى الدار »[1]

(هـ) رأس البريدى :

أبو الحسين البريدى أحد العابثين الخارجين على سياسة دولة بنى العبّاس . إرتكب من الظلم أمراً عظيما . فقد أرعب الخلق وكثرت جموعه ، وتزلزل له الخليفة . وكان ظهوره فى نواحى البصرة ، حيث سَعَى غير مرّة لفتحها والاستيلاء عليها ؛ لكنّه ردّ على أعقابه ولم ينل وطره ، فقد خانه أكثر أصحابه وأعوانه ، ثمّ قُبِض عليه وأودع دار السُّلطان .

قال مسكويه فى أحداث سنة ٣٣٣ هـ : « وكان أبو عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى أخذ فى أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه ؛ فأظهرها فى هذا الوقت ، فلما كان بعد أسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة ، وأحضر أبو الحسين البريدى ، وجمعوا بين يدى المستكفى بالله ، وأحضر السيف والنطع ، ووقف السياف بيده السيف ، وحضر ابن أبى موسى الهاشمى ، ووقف فقرأ ما أفتى به واحدا واحدا من إباحة دمه على رءوس الأشهاد ؛ وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هى فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم ، وأبو الحسين البريدى يسمع ذلك كله ويراه ، ورأسه مشدود ، والسيف مسلول بإزائه فى يد السياف ، فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفى بالله بضرب عنقه ، فضربت من غير أن يحتج لنفسه بشىء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف ، وأخذ رأسه وطيف به فى جانبى بغداد ورد إلى دار السلطان ... »[2]

(و) رأس الخليفة المستعين ، رأس عيسى بن ماهان ، رأس أبى السرايا :

من يستعرض خزانة الرءوس فى دار الخلافة العباسية ببغداد ، يَرَ فيها رءوس أمراء ، ووزراء ، وقوّاد ، وصنوف شتّى من طبقات الناس ، من عرب وأمم مختلفة ، ولكنها لم تكتف بهؤلاء أصحاباً ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، إلى رءوس أفراد بيدهم تدبير الملك وسياسة الرعية ، أولئك هم الخلفاء ؛ وإن فى هذا الأمر الخطير لعبرة مؤلمة وموعظة بليغة .

كان رأس الأمين أول ما وضع من رءوس الخلفاء فى هذه الخزانة . ولا ندرى أوُضِعَ بجانب رأس بهبوذ الزنجىّ ، أم إلى جانب غيره من رءوس المارقين العابثين ، أم أفْرِدَ له فيها مكان خاص ؟ ومهما يكن من أمر فهو لم ينتج من هذه الخزانة العجيبة . وأمر الأمين مشتهر يوم نُكِب ، ويوم قُتِل وقُطِف رأسه ، ودَعْنا نأخذ بعض خبره ، وخبر رأسه من شيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبرى ؛ فإنه روى فى ما جريات سنة ١٩٨ هـ هذه الأحدوثة « ... قالَ : فقمتُ فصرتُ خلف الحُصُر المدرّجة فى زاوية البيت ، وقام محمد [الأمين] فأخذ بيده وسادة وجعل يقول : ويحكم إنى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن هرون ، أنا أخو المأمون ، الله الله فى دمى . قال : فدخل عليه رجل منهم يُقال له خمارويه غلام لقريش الدندانى مولى طاهر ، فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح خمارويه : قتلنى قتلنى بالفارسية . قال : فدخل منهم جماعة فتخسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه فضوا به إلى طاهر وتركوا جثته . قال : ولما كان فى وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها فى جل وحملوها ... قال : وبينا نحن كذلك إذ هدة تكاد الأرض ترجف منها ، وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان فى الباب ضيق ، فدافعهم محمد بمجنة كانت معه فى البيت ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ثم هجموا عليه فحزوا رأسه واستقبلوا به طاهراً وحملوا جثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هرثمة ، فأذن له ، وكان عبر إليه على الجسر الذى كان بالشماسية . فقال له : أخوك يقرئك السلام فما خبرك ؟ قال : ياغلام هات الطس[1] فجاءوا به وفيه رأس

(١) المنتظم (٨ : ٢٩٠ — ٢١١) ، وانظر أخبار فطاركة كرسى المشرق من كتاب الجدل لمارى بن سليمان (ص ١٢٢ ؛ طبع رومية)

(٢) تجارب الأمم (٦ : ٧٩ — ٨٠) ؛ وأضاف مسكويه إلى قوله ما يلى : وصلبت جثته حيث كان حديدية [قلنا : الحديدى ويجمع على حديديات ، ضرب من السفن فى العصر العباسى] مشدوداً فيه لما ظفر بدار السلطان ، فبقى مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأت صكا على الجهبذ بثمن بواري وتقط أشتريت بتسعة دراهم لاحراق جثته ، فأحرقت النصف من ذى الحجة .

(١) الطس والطست ، على ما فى التاج (٤ : ١٧٨) : من آنية الصفر . قال أبو عبيدة : ومما دخل فى كلام العرب الطست والتور والطاجن وهى فارسية كلها . وقال الفراء : طيء تقول طست ، وغيرهم طس وهم الذين يقولون لصت للص . جمعه طسوس وأطساس ، وجمع الطسة طساس ، ولا يمنع جمعه على طسس بل هو قياسه . وطسيس كأمير جمع الطس كضأن وضئين . قال رؤبة :

حما هما يسهون أو رسيسا قرع يد الغباية الطسيسا

والطساس صانعه ، والطساسة حرفته كلاهما على القياس . وانظر شفاء الغليل للخفاجى ص ١٤٧ — ٢٤٨ ؛ طبعة الوهبية = ص ٢٧٩ طبعة الخانجى